الفصل الرابع عشر

مستقبل الراديكالية (١)

تشهد الدول الصناعية الآن اتجاهات مضادة للراديكالية فضلا عن انقسامات حادة داخل الحركة الراديكالية ذاتها · والواقع أن تغيرات وتحولات كبيرة قد طرأت على الطابع الذى يميز الحركات الاجتماعية الجديدة منذ ظهورها فى أواخر الخمسينات ، وذلك بعد العدوان الثلاثى على مصر والتدخل السوفيتى فى المجر · « فاليسار الجديد » الذى ظهر خلال تلك الفترة فى الدول الأوربية كان لا يزال جزءا من الحركات الاشتراكية والراديكالية التقليدية وذلك من خلال العضوية فى التنظيمات العمالية والمشاركة فى تطوير الأفكار الماركسية والاشتراكية بوجه عام · من ذلك يبدو واضحا أن اليسار الجديد قد حقق قدرا من الاستمرارية من خلال احتكاكه وارتباطه بالحركة الراديكالية التقليدية وخاصة تلك التى تطورت خلال ثلاثينيات القرن العشرين ·

بيد أن تغيرا ملحوظا قد طرأ مع اعادة بعث الراديكالية فى الولايات المتحدة الأمريكية · ولقد بدأ ذلك بحركة الحقوق المدنية التى نشأت فى أوائل الستينيات ، والتى من خلالها ظهرت جماعتان متميزتان هما : الطلاب والزنوج · وفى بداية الأمر تعاونت الجماعتان فى اطار حركة اصلاحية نضالية ، لكن الخلاف بينهما مالبث أن دب حينما طالب الزنوج الراديكاليون بالاعتراف « بقومية سوداء » أو « قوة سوداء » ، فى الوقت الذى ظل فيه الطلاب يشنون حملات ضد الحروب ويقومون

---

(١) Reprinted, with minor revisions, from Bernard Landis and Edward S. Tauber (eds), **In the Name of Life : Essays in Honour of Erich Fromm** (New York, 1971).

بمواجهات ضد الادارات الجامعية من أجل مزيد من الديموقراطية والادارة الذاتية • وبنهاية سنة ١٩٦٨ كاد الانفصال بين الحركتين أن يكون تاما • وفى نفس الوقت بدأت كل منهما تبتعد عن الراديكالية بصورها السابقة : ففى حالة الزنوج ارتبطت الراديكالية كحركة « قومية » عنصريةارتباطا عاما بالأفكار الثورية فى العالم الثالث ؛ أما فى حالة الطلاب فقد ارتدت الراديكالية ثوب حركة الشباب ، ثم ما لبثت أن ارتبطت بمجالات التعبير عن الاستياء الثقافى كما يتبدى ذلك فى الاقبال الشديد على الموسيقى الشعبية « وادمان المخدرات بقصد توسيع الخيال » •

ولسوف نخصص مناقاشاتنا التالية لتحليل الحركة الطلابية التى اتخذت طابعا عالميا ، وان بدت أقل ارتباطا بالظروف الأمريكية بصفة خاصة(٢) • والواقع أن رايت ميلز Mills كان قد تنبأ ببعض التطورات التى مرت بها الحركة الطلابية فيما بعد ، كما أوضح المبررات الفكرية التى تستند اليها • ولقد ناقش ميلز ظروف هذه الحركة ابتداء من افتقاد الولايات المتحدة لحركة عمالية قوية حتى ظهور الحاجة القوية لاحداث تغيرات جذرية فى ضوء الانتقادات الثقافية التى وجهها الجيل الجديد من المثقفين • ويبدو أن هذا النمط الأمريكى من الراديكالية قد اتخذ شكلا محددا فى « حركة الخطابة الحرة فى بيركلى » فى سنة ١٩٦٤ ، ثم ما لبث أن انتشر انتشارا واسعا فى كثير من الدول الأوربية • أما سبب التأثير الشديد لهذه الراديكالية فيعود ـ فيما يبدو ـ الى تغلغل الولايات المتحدة فى السياسة الدولية • ان العامل الهام الذى أسهم فى توحيد الحركة الطلابية الراديكالية هو معارضة الحرب الفيتنامية • لكن ذلك لا يمنعنا من الاشارة الى عاملين آخرين

---

(٢) يمكننا أن نجد تحليلا اضافيا لبعض الملامح الهامة لحركة الزنوج فى :
Harold Cruse, : **The Crisis of the Negro Intellectual** (New York, 1967).

ولقد اتخذت الحركة مؤخرا اتجاها جديدا بظهور « جماعة بانثر السوداء » ، وهى جماعة تحاول **التحالف** مع الجماعات الراديكالية البيضاء ، واقترحت برنامجا اقتصاديا أقرب الى الأفكار الاشتراكية منه الى الأفكار الراديكالية الجديدة •

على الاقـل · الأول يتمثل فى زيادة احسـاس الشباب فى المجتمعـات الصناعية بهويتهم كجيـل متميز ، ثم شعور الطلاب الجامعيين أنه بسبب سرعة التقـدم التكنولوجى ، وزيادة أعدادهم (أى الطلاب) ، فانهم قـد أصبحوا مؤهلين لشغل مكانة هامة داخـل المجتمع · أما العامل الثـانى فيتمثل فى الانهيار الظاهر الذى تعرضت له بعض الاتجاهات الراديكالية القديمة نسبيا ، والذى كشف عن نفسه فى انتشار ما أطلق عليه الطلاب « سياسة الاجماع » سواء اتخذ ذلك شكل التحالف الفعلى بين الأحزاب (كما حدث فى ألمانيـا الغربية) أو الهزيمـة السياسية التى منيت بهـا الأحزاب اليسارية الراديكاليـة · ويبـدو أن أوربا الغربية قـد شهدت خلال عقـد الخمسينات نمط السياسـة غير الملتزمة ايديولوجيا ، وهو نمط يشبه الى حد كبير ذلك الذى تعرفه الولايات المتحـدة · والى المدى الذى قد يؤدى ذلك الى احداث تغييرات على بنـاء الطبقة العاملة ودورها داخل الدول الأوربيـة ، فان النتيجة التى يمكن استنتاجها هى ضرورة البحث عن مصادر المعارضة والاستياء لدى جماعات اجتماعية أخرى ·

والملاحظ أن الحركة الطلابيـة ـ بوصفها طليعة جديدة للصـراع السياسى ـ قد نمت وتطورت بسرعة فائقة فيما بين سنتى ١٩٦٤ و ١٩٦٨ ، الى أن وصلت الى قمتها خـلال تمرد فرنسا فى سنة ١٩٦٨ · ومنذ ذلك الحين بدأت الحركة الطلابيـة تعانى من الضعف التدريجى · ففى الولايات المتحدة نجـد المنظمة الراديكالية الأساسية (ويطلق عليهـا اسم الطلاب من أجل مجتمع ديموقراطى) تنقسم الى عدد من الجماعات المتصارعة · وفى فرنسا بدأت الحركة الطلابية تتحول الى مجموعات يسارية تتشابه فى أفكارها ومثلهـا مع تلك التى توجـد خـارج الجامعـة أو المجتمع الفرنسى بصفة عامة · ومثـل هـذا يمكن أن يقال عن الحركة الطلابية الألمانية التى تفتتت قياداتهـا وفقـدت كثيرا من جاذبيتهـا السياسية · أما بريطانيا فلم تعـد تعرف تنظيما طلابيا راديكاليا فعالا · ومن المحتمل أن يكون ذلك كله مجرد نكسة مؤقتة أصيبت بها الحركة الطلابية · واذا كان صحيحا ـ كما يذهب البعض ـ أن « الاقطاعية العلمية والتربوية » تشغل الآن مكانة حاسمة داخل المجتمع وأنها تحاول صياغة ايديولوجية وأساليب للعمـل السياسى تلائم ظروفها ومواقفها كما فعلت ذلك الطبقة

العاملة الصناعية خلال القرن التاسع عشر ، اذا كان ذلك صحيحا فان الأحداث الأخيرة قد تكون بمثابة خطوات أولى نحو ايجاد نمط من التنظيم وصور من العمل السياسى أكثر ثباتا ودواما · ومن زاوية أخرى يمكننا تفسير الضعف الذى طرأ على الحركة الطلابية فى ضوء التغير الذى طرأ على مصالحها واتجاهاتها الفكرية والايديولوجية ، والناجم عن الحراك السريع الذى يحققه الطلاب بعد تخرجهم الجامعى والتحاقهم بالمهن المختلفة ·

وأيا كانت تفسيراتنا لهذه الظواهر ، فان من المهم أبراز بعض جوانب الضعف التى تعانى منها الحركة الطلابية ، والتى تجاهلها بعض الدارسين فى أواخر الستينيات حينما طرح الطلاب ـ وبطريقة درامية ـ أفكارا واتجاهات جديدة ، ساعدت على اثارة مناقشات فكرية وسياسية متباينة وأدت الى ظهور احتجاجات عديدة · وأحد جوانب الضعف التى يتعين الاشارة اليها يتمثل فى كون حركة الطلاب « حركة شباب » · ان التأثير الاجتماعى الذى قد يمارسه جيل الشباب قد يكون كبيرا (كما يشير الى ذلك كارل مانهايم Mannheim) من حيث أنه قد يسهم فى ظهور اتجاهات فكرية جديدة وأساليب حديثة للتفكير والممارسة ، فضلا عن تمثل وتطوير التراث الثقافى الذى يعيش فى ظله · لكننا نشك كثيرا فى أن الجيل الجديد المفتقد الى الخبرة والممارسة يمكن أن يلعب الدور الأكبر فى تشكيل بناء المجتمع وتحديد مساره · فعلى سبيل المثال نجد حركة « تركيا الفتاه » التى استحدثت كثيرا من الأفكار والممارسات لم تكن تعبر عن الفئة العمرية التى ينتمى اليها الطلاب الجامعيون · فأعمار أفراد هذه الحركة كانت تتراوح بين نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات ؛ وهم بذلك قد تخطوا مرحلة الاضطراب التى قد يتعرض لها الأفراد الأصغر سنا · وفضلا عن ذلك نجد أن هذا النوع من التجديد الثقافى أو الفكرى لا يتم بطريقة فردية ، بل يحدث فى اطار جماعة جيلية بأكملها · وحينما ندرس طبيعة الحركات الاجتماعية الواسعة والتغيرات الاساسية التى تطرأ على بناء المجتمع ، نجد أنها تعتمد على روابط مختلفة تميز الجماعة العمرية كالجنسية

أو القومية ، والمصلحة الاقتصادية ، والعضوية الطبقية ، والانتماء الدينى ٠

ويبدو أن هناك عوامل أخرى تؤدى الى اصابة الحركة الطلابية بمزيد من الضعف ٠ وأحد هذه العوامل الدورة السريعة للطلاب ، والتى قد تحول دون ظهور أسلوب أو تنظيم سياسى قوى ٠ أما العوامل الأخرى فتتصل بتلك العلاقة التى تربط بين الحركة الطلابية وبعض جوانب « ثقافة الشباب » كالولع بالموسيقى الشعبية وادمان المخدرات ، وهى جوانب لا تتضمن أية معانى راديكالية على الاطلاق ٠ وقد يكون صحيحا ـ كما يعتقد البعض ـ أن هذه الجوانب تشكل جزءا من حركة عامة للتحرر ، لكننى لا أعتقد بامكانية قبول هذا التفسير ٠ ان الموسيقى الشعبية الصاخبة تعبر عموما عن أحاسيس فترة المراهقة كالشك وعدم اليقين ٠ واذن فهذا اللون من الموسيقى لا يتضمن معانى نقدية هامة ٠ ولو افترضنا أنه يعبر عن بعض هذه المعانى فانها قد فقدت قيمتها بنمو المصالح الاقتصادية ٠ وأقصى ما يمكن قوله حول هذه الموسيقى بوصفها تجديدا ثقافيا هو أنها قد تعكس الرغبة فى خلق مجتمع أكثر رحابة واتساعا أو التحرر من السيطرة المادية واستعادة الذات ٠ وفى الموسيقى الشعبية قد نجد تعبيرا عن النقد الاجتماعى ، لكنه يضعف ويتهاون كثيرا أمام صور الاحتجاج التقليدية ٠ ففى بعض الاحيان نجد بعض المغنين الشعبيين يرددون أغانى الاحتجاج السياسى بقصد الحصول على مزيد من الثروة والشهرة(٣) ٠

ولا يمكن القول أيضا بأن ادمان العقاقير والمخدرات يعتبر وسيلة تحررية ٠ اذ كيف يمكن تحقيق الحرية الانسانية بجعل العقول والخبرات معتمدة تماما على المواد الكيمائية ؟ ان ذلك يعنى تحول القوى الانسانية لتصبح ضمن عالم الأشياء ، وادمان المواد المخدرة ـ شأنه فى ذلك شأن ادمان الخمور ـ هو عمل يعبر عن اليأس والانسحاب من مواجهة

---

(٣) See the discussion in R. Serge Denisoff, " Folk Music and the American Left : A Generational - Ideological Comparison ", **British Journal of Sociology**, 20 (4) (December 1969).

القضايا العامة الى الانغلاق على المشكلات والخيالات الشخصية · واذا كان هذا النوع من الادمان يعكس عدم ارتياح الفرد بظروف المجتمع من وجهة نظره الخاصة ، فانه يشير ـ فى نفس الوقت ـ الى حالة مرضية يعانى منها المجتمع نفسه · لكن ذلك كله لا يؤدى الى ظهور حركة تسعى الى اعادة بناء المجتمع على نحو شامل ·

وليس من الواضح تماما حتى الآن كيفية الارتباط الوثيق بين العناصر المختلفة التى تؤلف « ثقافة الشباب » · ولكن يمكن القول انه الى المدى الذى تركز فيه الحركة الطلابية على طابعها الجيلى ، فانها تخضع لتأثير النظرة السائدة لدى الجماعة العمرية التى تنتمى اليها · وهناك قدر ملحوظ من التبادل الثقافى بين جماعات « الهيبى » والجماعات النشطة سياسيا والأصغر سنا (وان كان ذلك يبدو أكثر وضوحا فى الولايات المتحدة منه فى أى دولة أخرى) · ان هذه الامتزاج بين الاتجاهات الراديكالية وغير الراديكالية هو الذى يسهم فى زيادة الخلط الايديولوجى الذى يسيطر على الحركة الطلابية · ومع ذلك فان مسألة الخلط الايديولوجى هذه قد تكون ظاهرة شائعة فى كثير من المواقف ، وبالتالى فلنا أن نتوقع وجودها فى اطار الحركة الطلابية ·

والملاحظ أن الحركة الطلابية قد حققت انجازاتها فى الوقت الذى كان فيه الفكر الاجتماعى الراديكالى يتعرض لأزمة قاسية نشأت عن الانتقادات والمراجعات التى تعرض لها الفكر الماركسى(٤) ، وفى مواجهة المذاهب التى طورتها الحركات الثورية فى المجتمعات الزراعية (كما هو الحال فى الصين وكوبا وشمال أفريقيا وبعض آخر من دول العالم الثالث) ؛ فضلا عن الحوار الذى تم مع أصحاب النظريات الجديدة التى

---

(٤) من المستحيل هنا استعراض كل الانتقادات ومحاولات اعادة التفسير التى تناولت الماركسية خلال العقدين الأخرين · ومن بين الاسهامات الهامة البارزة فى هذا المجال تلك التى قدمها كولاكوفسكى KolaKowski واوسوفسكى Ossowski ، ورايت ميلز Mills ، وهيربرت ماركيوز Marcuse ، وهابرماس Habermas ، وجان بول سارتر Sartre وايرك فروم Eric Fromm

تناولت طبيعة المجتمعات الصناعية الحديثة(٥) · وكنتيجة لذلك اعتمد الطلاب فى تفكيرهم على مصدرين مختلفين تماما : أفكار وتجارب الثوار فى العالم الثالث من ناحية ، والتفسيرات الحديثة التى يقدمها النقاد الاجتماعيون فى الدول الصناعية من ناحية أخرى · ومن الصعب الافتراض بأن الطلاب يستطيعون صياغة نظرية اجتماعية متسقة من خلال هذه الأفكار والتفسيرات ، على الرغم من أنهم قد أثاروا تساؤلات نقدية ، وطرحوا نظرة اجتماعية جديدة قد تعينهم على توجيه الفكر الاجتماعى النقدى · ومن أسف أن يتحول هذا النشاط الهام الى مجرد حملات سياسية قام بها الطلاب ، رافعين شعارات تتصف بالسذاجة ، مما دفع بالحركة الطلابية الى الدخول فى صراعات مع بقية قطاعات المجتمع بما فى ذلك الحركة العمالية ذاتها(٦) ، وبالتالى ضعفت فعالية النقد الاجتماعى الذى حملت لواءه الجامعات لفترة طويلة ·

ان مستقبل الراديكالية ـ فكرا وعملا ـ يتوقف على نجاح الحركة الطلابية فى التغلب على السيطرة المفروضة عليها · فالحركة الطلابية ظلت تمثل مجرد قطاع داخل حركة فكرية نامية تتبنى بعض المفاهيم الاشتراكية الانسانية (وذلك على خلاف صور التذمر المبكرة) · ولقد شنت هذه الحركة هجومها الشديد ضد أعدائها العديدين : ضد الرأسمالية، والتكنوقراطية ، والاشتراكية الشمولية · وفى نطاق هذه الحركة هناك أهداف عديدة هامة يمكن أن يسهم فى تحقيقها الطلاب ان لم يكن قد أسهموا بالفعل · وأول هذه الأهداف أن يسهم الطلاب ـ وهذا ينطبق بصفة خاصة على الذين يدرسون العلوم الاجتماعية ـ فى تقديم انتقادات

---

(٥) For example, Raymond Aron, **18 Lectures on Industrial Society** (New York, 1967), and J. K. Galbraith, **The Affluent Society** (Boston, 1958) and **The New Industrial State** (London, 1967).

(٦) حدث ذلك فى عدد من الدول الأوربية الغربية حينما توترت العلاقات وظهرت الصراعات بين الحركة الطلابية الراديكالية من ناحية والأحزاب الاشتراكية ونقابات العمال من ناحية أخرى · وبدا ذلك أوضح ما يكون فى المانيا الغربية فى سنة ١٩٦٨ · اما فى الولايات المتحدة فان الهوة بين العمال والطلاب قد اصبحت أوسع من أى وقت مضى · ومن الأمثلة الحديثة على ذلك المظاهرات التى قام بها عمال البناء فى نيويورك ضد حركة السلام ·

فعالة للمجتمع · وثانى هذه الأهداف هو تدعيم هـــذه النظرة النقدية ـ على أن تكون راديكالية قدر المستطاع ـ حتى تتمكن من الانتشار خارج نطاق الجامعة ، وعلى الأخص داخل المهن العلمية والفنية التى سيلتحق بها الطلاب بعد تخرجهم · أما الهدف الثالث فهـــو الدفاع عن الحـرية الفكرية والاستقلال داخل الجامعات أو اعادة بنائها فى تلك المجتمعات التى خضعت فيها الجامعات لسيطرة رجال الأعمال وكبـــار موظفى الحكومة ورجال الاحزاب السياسية · وفيما يتعلق بهـــذه النقطة بالذات فاننى أعتقد أن المسئولية الكبرى تقع على عاتق أساتذة الجامعـــات ؛ اذ أن تقصيرهم ـ فى كثير من الاحيان ـ هو السبب فى تحمل الطلاب أعبـاء لا قبل لهم بها · وهناك بعد ذلك هدف آخر يرتبط بالهدف الأخير ارتباطا قويا وهو أن تدرس بشىء من الدقة والاهتمـــام البدائل المطروحة لفكرة الجامعة « كمصنع للمعرفة » · واذا ما أخـذنا فى الاعتبـــار المعارضة الشديدة التى أبداها الطلاب لسيطرة الطابع البيروقراطى على الجامعات، اتضح لنا أنه لم تبذل حتى الآن أية محاولات جادة لتحديد الاحتياجات الأساسية التى تضمن توافر مناخ انسانى داخل الجامعات واستعـــادة الطابع الذى يميزها بوصفها اطارا يضم مجموعة من الدارسين المتفاعلين والقادرين على تطوير فكر نقدى لا يخضع لأية قيود · ومن الخطـــوات الضرورية لتحقيق ذلك ضـرورة تحديد حجم الجامعات ، واصلاح نظام الادارات الجامعية على الأقل فى بعض الدول · وقبل ذلك كله هنـــاك ضرورة التفكير العميق حول الطابع السليم للجامعـــات خـــلال القرن العشرين ، حيث ينمو التعليم الجامعى نموا سريعا · ولا شك أن تصرفات الطلاب المتمردين خلال السنوات الأخيرة تحول دون القيام بهذا التفكير العميق · فلقد أبدى هؤلاء الطلاب رغبتهم فى تدمير الجامعات ، وعبروا عن احتقارهم للحياة الفكرية ، وأظهروا عدم اسـتعدادهم لتقبـــل آراء مختلفة عن آرائهم ، فضلا عن اصرارهم الشديد على الخوض فى مناقشة قضايا سياسية خالصة · ان من شأن ذلك كله القضـاء على المســألة الراديكالية بأكملها · ويجب أن يكون واضحا أن مجتمعا معاصرا سليما لا يستطيع ان يؤدى وظائفه ومهامه دون وجود الجامعات أو المعـــاهد العليا التى من خلالها يمارس الناس الحياة الفكرية الحرة ·

ولو افترضنا نمو حركات الاستياء الفكرى كمـــا بدأ ذلك خـــلال الستينيات ، وافترضنا أيضا قدرة هذه الحركات على صياغة نظرية نقدية متماسكة وهو ما لم يتحقق بعد ، فان ذلك لن يكون كافيا لاحداث تحولات أساسية داخل المجتمع · فلكى تحدث تغييرات راديكالية يتعين وجـــود حركة اجتماعية تستطيع التعبير عن ممارسات ومصالح عدد كبير جـدا من الناس ·وفى معظم الدول الاوربية الغربية نجد الحركةالعمالية تؤدىهذا الدور بحيث لا نجد خارج اطارها أية سياسيات راديكالية · والواقع أن هناك شواهد عديدة تشير الى أن هذه الحركة قد أصبحت أكثر راديكالية · ومن الأمثلة على ذلك اتساع نطاق الاضراب العام فى فرنسا فى مايو ١٩٦٨ والذى أثر تأثيرا بالغا على نظام حكم ديجول ، وكذلك موجه اضرابات نقابات العمال فى ايطاليا فى نهاية ١٩٦٩ ، والنضال المتزايد الذى بدأت تخوضه جماعات العمال فى أكثر الدول الصناعية تقدما من النـــاحية التكنولوجية ، فضلا عن محاولات احياء الأفكار التى تؤكد ضرورة ممارسة العمال للادارة الذاتية · ومع ذلك كله فان من غير المحتمـــل أن تتمكن الراديكالية الفكرية فى الجامعات بالتعاون مع الاتجاهات الجديدة داخل الحركة العمالية من احداث تغييرات اجتماعية كبرى خلال العقد المقبـل على أقل تقدير ·

وفى الولايات المتحدة الأمريكية قد يبدو عسيرا التنبؤ بنمو حركة راديكالية واسعة المدى · فمنذ نهاية الحرب العـالمية الأولى لم تشـــهد الولايات المتحدة حركة عمالية جماهيرية التزمت باحداث تغييرات جذرية داخل بناء المجتمع الأمريكى · فهل يمكننا تصور حدوث تغير فى هـــذا الموقف الآن خاصة فى ظل زيادة الرخاء وضعف نقابات العمال ؟ هنـاك فى الواقع ـ وكما يؤكد الراديكاليون دائما ـ جماعات عديدة داخـــل المجتمع الأمريكى لا تحصل على مزايا مادية وتشكل نويات أو بؤر محتملة للمعارضة · ولقد اشتركت بعض هذه الجماعات ـ وعلى الأخص الزنوج والمكسيكيون ـ فى صور مختلفة من الكفاح وان لم يتخذ ذلك شكل العمل الراديكالى العنيف · وهناك بالاضافة الى ذلك التمرد الذى قام به جيـل الشباب ـ وعلى الأخص الطلاب ـ ضد الظروف الســـائدة فى المجتمع الأمريكى · وفى كل ذلك ظلت الطبقة العاملة الأمريكية متخذة موقف

المتفرج ، وبمنأى عن تبنى أية سياسة راديكالية · ولا أعتقد أن هـــذه الظروف سوف تتغير بسرعة · أما اذا تمكنت حركة الاستياء الفـــكرى القائمة الآن من جذب مختلف حركات المعارضة وتشكيل تنظيم سياسى واحد (وليكن حزب راديكالى جديد) ، فان من المحتمل حينئذ أن يجذب هذا التنظيم كثيرا من العمال لسياساته وأعماله ، وخاصة العمال فى الدول الصناعية الأكثر تقدما الذين بدأوا مؤخـــرا يبدون حرصهم على التحكم فى ظروف العمل التى يخضعون لهـــا · ولا يمكن الحـــكم على كل هذه الاحتمالات الا فى ضوء الواقع والممارسة · وعلى أية حال فان تشكيل حزب راديكالى جديد قد يكون بمثابة أمـــل جديد أكثر من كونه استمرارا لاحتجاجات متفرقة أو اضرابات مؤقتة ·

كذلك فان من الصعب تقـــويم التغيرات المحتملة التى ستطرأ على مجتمعات الاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية · فمن الواضح أن استياء فكريا قد نما فى هذه الدول منذ سنة ١٩٥٦ ، وأن من الأمور المشكوك فيها أن تنتشر فى هذه الدول تلك النظرة الاجتماعية التى قدمها المثقفون والطلبة التشيكوسلوفاكيون خلال النهضة الاشتراكية التى حدثت فى سنتى ١٩٦٨/١٩٦٧ · ومع ذلك علينا أن نلاحظ أنه فى الحالات التى ظهرت فيها حركات راديكالية فى هذه الدول (كما حدث فى المجر وبولندا فى سنة ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا فى ١٩٦٨/١٩٦٧) بدت الصلة واضـــحة وقوية بين القطاعات المعارضـــة من المثقفين والطبقة العـــاملة ونقابات العمال · واذا كان لنا أن نتوقع تقدما (فى ضوء اقتصاد قائم على نظام جماعى) نحو ايجاد مجتمع اشتراكى يشعر فيه أفراده بالتحرر الحقيقى ـ لا أن يكونوا أدوات خاضعة لسيطرة الرقابة والحزب والبوليس السرى ـ فلابد من تعاون المثقفين الذين يطالبون بحرية التفكير والنقد مع العمال الذين يطالبون بالسيطرة على ظروف عملهم وتمكينهم من أداء دور حقيقى فى تحديد السياسة الاجتماعية ·

وفى كل الحركات الراديكالية الحديثة نلمس صلة قوية بين الأفكار والمصالح · وتبدو هذه الصلة أكثر قوة حينما ترتبط نظرية اجتماعية ـ كالماركسية ـ بحركة اجتماعية بعيدة التأثير · والواقع أن اســـهام

المثقفين الراديكاليين فى هذه العملية قد يكون سلبيا وايجابيا فى آن واحد · فمن الواضح أنهم (أى المثقفين الراديكاليين) يستطيعون تحديد طابع المجتمع بطريقة نقدية حيث يبرزون مظاهر الظلم الاجتماعى والقيود الفكرية والصراعات الاجتماعية · وحينما ينتشر مثل هذا النقد بدرجة كافية ، فانه قد يكون أحد العنـــاصر التى تسهم فى تهيئة الطريق لاقامة مجتمع جديد · لكن هذا النقد لا يكون مكتملا الا اذا أوضح لنا الاتجاهات الممكنة للتغير ، وفسر الحركات الاجتماعية الجديدة ، وحدد ملامح نظام اجتماعى جديد · واذن فمن المهم انجاز المهمة التى كرس ماركس نفســه من أجلها خلال فترة شبابه حين كتب يقول : « اننا نصوغ مبادىء جديدة للعالم من خلال المبادىء القائمة التى تحكمه ··· اننا قد نلخص الشعار الذى ترفعه مجلتنا (الحولية الألمانية ـ الفرنسية) فى عبارة واحدة هى : المعرفة الذاتية (الفلسفة النقدية) لضروب الكفاح وأنماط الأهداف التى تسيطر على العصر الذى نعيش فيه » ·

ان هذه النظرة الايجابية (أى صياغة مبادىء جديدة من خـــلال المبادىء القائمة) هى ـ فيما يبدو ـ أكثر جوانب الفكر الراديكالى ضعفا وغموضا · واذا حاولنا البحث عن سبب هذا الضعف والغموض فسنجده متمثلا فى الأوهام التى ارتبطت بالاشتراكية ، والتى ظهرت فى أواخـر الثلاثينيات ، ثم ازدادت قوة بتطور النمط السوفييتى الاشتراكى منـذ نهاية الحرب العالمية الثانية وابتداء من سياسة الستار الحديدى التى فرضها ستالين حتى الغزو السوفييتى لتشيكوسلوفاكيا · ان على المثقفين الراديكاليين الآن أن ينتقدوا كلا من المجتمعات الرأسـمالية والاشتراكية على السواء ومن المحتمل أن تنصب انتقاداتهم الأساسية على التصنيع ذاته · ان محاولات التوصل الى أشكال بديلة للمجتمعات قـــد تعرضت للضعف الشـــديد ، لأن ما كان يعد مثاليـــا فى وقت من الاوقات (أى الاشتراكية) قد أصبح الآن واقعا محيرا · ولمواجهة هذا الموقف علينا اعادة النظر فى الاشتراكية سواء فى ضوء النظم الملائمة لمجتمع قائم

على المساواة(٧) ، أو فى ضوء الحركات الاجتماعية والأعمال السياسية القادرة على ايجاد هذا المجتمع دون التعرض للعنف والكبح ٠

(٧) أضع فى اعتبارى ـ على وجه الخصوص ـ الدراسات الجادة التى تناولت مشكلات الادارة والمشاركة فى الصناعة الكبيرة الحجم ، وتلك التى درست الادارة الاجتماعية بحيث تصبح الخدمات الاجتماعية تحت سيطرة الذين يحتاجون اليها ٠ وبالاضافة الى ذلك هناك دراسات تناولت التغيرات التى طرأت على النظم التعليمية ، والتى أدت بالتالى الى الممارسات التسلطية واتاحة الفرصة لممارسة الادارة الذاتية ٠ ولا نجد فى الواقع سوى اهتمام فكرى ضئيل بدراسة الأشكال المحتملة للنظم الجديدة ، كما لا نجد اهتماما يذكر بالممارسات الواقعية التى سعت الى اقامة تنظيمات مستندة الى مبادىء المساواة كمجالس الادارة الذاتية للعمال ، ومجتمعات العمل ، ومشروعات تنمية المجتمعات المحلية ٠